2019
أكتوبر

كتـــاب في دقـــائق

ملخصات لكتب عالمية تصدر عن مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة

مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة
MOHAMMED BIN RASHID AL MAKTOUM KNOWLEDGE FOUNDATION

بالقراءة نرتقي.. كن داعمًا للمعرفة واشترك في إصداراتنا... بدعمكم نصنع المستقبل

عـام التـسـامـح
YEAR OF TOLERANCE

فجوة القراءة

رحلةٌ للوصول إلى الحقيقة

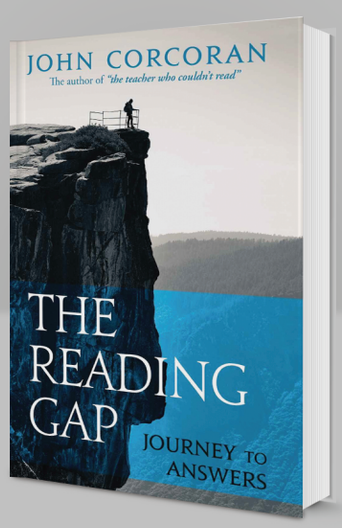

200

تأليف

جون كوركوران

المبادرات والمشاريع

بالعربي
إحدى مبادرات مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة

برنامج دبي الدولي للكتابة
Dubai International Program for Writing

قمة المعرفة
Knowledge Summit

2030 LITERACY CHALLENGE

إحدى الأمية

جائزة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة
MOHAMMED BIN RASHID AL MAKTOUM KNOWLEDGE AWARD

في ثوانٍ...

يحلّق بنا كتاب «السياحة المستدامة.. قيادة الاستثمار الأخضر والرفاهية المشتركة في الدول النامية» حول العالم، في جولة تعريفيَّة بالسياحة وإسهامها المتزايد في الاقتصاد العالمي، حتَّى إنَّها تحوَّلت إلى ظاهرة اجتماعيَّة واقتصاديَّة وسياسيَّة وثقافيَّة معقَّدة، وفتحت الأبواب لملايين الوظائف المستجدَّة، ونقلت دولاً بأكملها من اعتمادها على السياحة باعتبارها عنصراً ثانوياً إلى حلبة المنافسة الاقتصاديَّة العالميَّة فيها، كما يفصِّل الكتاب القول عن السياحة المستدامة وأثرها في اقتصاد الوجهات السياحيَّة، والتخطيط الاستراتيجي لتنمية ذلك النوع الخصب من السياحة.

وفي كتاب «فجوة القراءة.. رحلةٌ للوصول إلى الحقيقة» يعرض المؤلِّف «جون كوركوران»، المستثمر العقاري والمطوِّر الأمريكي، الذي استطاع أن يتخرّج من المدرسة الثانوية والجامعة، بل ويعمل مدرّسًا لمدة 17 عامًا، دون أن يتقن القراءة والكتابة، وهو أحد الداعين إلى «أمريكا خالية من الأميَّة»، إذ كانت مهارات القراءة والكتابة لقرونٍ عدة، مقصورة على الأغنياء أو الأقوياء حتَّى اخْتُرِعَت المطبعة، وبدأ غزو الكتب المطبوعة يشجِّع الناس على تعلُّم القراءة والكتابة، وجاء اقتراح توماس جيفرسون مشروع قانونٍ لإنشاء مدارس عامَّة مجانيَّة من شأنها تعليم القراءة والكتابة والرياضيَّات «لجميع الأطفال مجَّاناً، ذكوراً وإناثاً» في القرن الثامن عشر، ولكنَّه خصَّ الأطفال الأحرار دون العبيد.

واستنتج علماء الأعصاب أنَّ الدماغ البشري ليس مصمَّماً لاستيعاب عمليَّة القراءة، وإنَّما هي مهارة معقَّدة تُكتسَب بإعادة توجيه مسارات عصبيَّة لا تُعدُّ ولا تُحصى، في عملية تُدعى «المرونة العصبيَّة»، فلا يمكن لمدرِّس أن ينجحَ، ولا لعمليَّة تعليميَّة أن تتمَّ دون تعلُّم التلاميذ القراءة.

وفي كتاب «عشر نصائح تقدّمها هارفارد بيزنس رفيو عن القيادات النسائية» الذي يضمُّ عدداً من المقالات التي جعلت من المرأة وقضاياها شغلها الشاغل، نرى عدداً من النصائح حول إشراك المرأة في سوق العمل وتقديم حلول لمعظم المشكلات التي تواجه النساء سواء في حياتهنَّ الاجتماعيَّة أو العمليَّة، ومن أهمِّ تلك المشكلات ندرة شغل النساء مناصب القيادة العليا، ومقاومة القيادة النسائيَّة أمام مطالب الحياة الأسريَّة، وإن كانت هناك فرص تتزايد ببطء أمام قيادة المرأة حتَّى تصير رئيساً أو نائب رئيس في الدول الكبرى، اعتماداً على استقراء المكاسب التي ستحقِّقها المرأة في المستقبل.

ومن أهم القضايا التي يهتمُّ بها هذا الكتاب قضيَّة التحرُّش الجنسي، وربطها بالإقصاء شبه المتعمَّد للمرأة من المناصب القياديَّة وكيف يمكن علاج ذلك من خلال منح المرأة مزيداً من الثقة بالنفس، والقدرة على اتخاذ القرار، والقدرة على إدارة الحوار مع الآخر عقلياً لا عاطفياً.

جمال بن حويرب

المدير التنفيذي لمؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة

لمحة سريعة عن تاريخ معرفة القراءة والكتابة

تاريخ محو الأميَّة معقَّد، لكنَّه كان دائم الارتباط بالسلطة، فعندما نتحدَّث عن «معرفة القراءة والكتابة» بعبارات اليوم، فذلك إيجابيٌّ ومفيد، وفي الوقت نفسه فإنَّه معيارٌ مفترض لما نعدُّه طبيعيّاً وضروريّاً في مجتمعنا، ومن المثير للاهتمام أنَّه على الرغم من استخدام كلمة «الأميَّة» لأكثر من 350 عاماً، فإنَّ كلمة «معرفة القراءة والكتابة» لا تظهر في اللغة الإنجليزيَّة حتى العام ، عندما استُخدِمت للمرة الأولى في إحدى الدوريات الأمريكيَّة، إذ كانت جودة التعليم بالحروف محدَّدة ومحدودة للغاية، ولم تكن هناك حاجة إلى كلمة في لغتنا لوصفها.

القراءة والكتابة للنخبة لا للعامة

كانت مهارات القراءة والكتابة لقرونٍ عديدة، مقصورة على الأغنياء أو الأقوياء، أو أولئك الذين عملوا نيابةً عنهم، وهذا هو المنطق الصحيح، فلم يكن لدى الفرد العادي قبل القرن الخامس عشر الوسائل ولا المبرِّر لتعلُّم مهارة لا تساعده على وضع الطعام على الطاولة، أو بمعنى أوضح: كان الاهتمام بمعرفة القراءة والكتابة قاصراً على قلَّة من النخبة للتحكُّم في المعرفة والتواصل والحفاظ على قوَّتهم.

اختراع المطبعة

في العام 1540، غيَّر اختراعٌ بارعٌ كلَّ ذلك، فقد أثبتت المطبعة أنَّها القوَّة التي فتحت صندوق محو الأميَّة، فصار من الممكن إنتاج كتبٍ بكمِّيةٍ كبيرة، بدلاً من نسخ كتابٍ واحدٍ بالأيدي، ولم يغيِّر الاختراع حقيقة أنَّ قلَّةً من الناس كانوا قادرين على قراءة المواد المطبوعة، لكنَّ الكتب والمنشورات والصحف وفَّرت فرصةً خطيرةً لنشر الأفكار التي تعارض الوضع الراهن.

الكنيسة وطباعة الكتب

أدَّى انتشار المطابع إلى قلقٍ واضحٍ لدى الكنيسة، فقد أعلن البابا ألكسندر السادس أنَّ أيَّ شخص يقوم بطباعة نصوصٍ غير معتمدة من قِبَل الكنيسة الكاثوليكيَّة سيتمُّ إقصاؤه، لكن لا يمكن تغيير مسار التقدُّم، فقد وُجِدَت المطبعة لتبقى، وبدأت الكنيسة تفقد سيطرتها على ممارسة المسيحيَّة نفسها، فقد كانت النصوص والطقوس المقدَّسة متوافرة منذ فترةٍ طويلةٍ فقط في نُسخٍ مكتوبةٍ بخطِّ اليد كتبها الرهبان والكتبة، وكانت المخطوطات أعمالاً فنيَّة رائعةً وقيِّمة، ولكن لم يتمَّ الحصول عليها بسهولة، ولم يكُن من السهل قراءتها؛ مثل الليتورجيَّة الكاثوليكيَّة نفسها التي كانت مكتوبةً باللغة اللاتينيَّة، وهي لغةٌ تفهمها فقط نسبةٌ ضئيلةٌ من العلماء ورجال الدين، إذ تتمتَّع الكنيسة بمكانةٍ كبيرةٍ باعتبارها مترجماً وحيداً وضروريّاً لجميع النصوص المقدَّسة والطقوس الدينيَّة، فلا يستطيع المصلُّون فهم النصوص إلا كما يُفسِّرها رجال الدين، فقد بقي رجال الدين هم الوسطاء الضروريِّين، ومن دونهم فلن يتمكَّن الشخص العادي من السير في طريق الخلاص، إذ اعتُبِرَت الترجمات التي تمَّت خارج الكنيسة عملاً مجرَّماً وأُحرِقت النسخ التي تُرجمت للعهد الجديد.

القراءة والكتابة في حقبة الاستعمار

عندما أُنشِئت المستعمرات الأولى في أمريكا الشماليَّة في أوائل القرن السادس عشر، كان الإيمان المتشدِّد بأهمِّية قراءة الكتاب المقدَّس يعني أنَّ التعليم كان يُعدُّ أولويَّة، وتقع المسؤوليَّة في المنزل على عاتق الأفراد، ثمَّ تمَّ تناولها في صورة قانونٍ ملزمٍ للمجتمع، فينصُّ قانون ماساتشوستس الصادر في العام 1642 على أنَّه «يجب تعليم جميع الشباب داخل الأسرة قراءة اللغة الإنجليزيَّة بطريقة جيدة، وأن يتعرَّفوا قوانين رأس المال، وتعليمهم بعض التعاليم الدينيَّة الأرثوذكسيَّة، وتربيتهم على تعلُّم وظيفةٍ نزيهةٍ ومربحةٍ لأنفسهم وللمجتمع».

القرن الثامن عشر

بحلول القرن الثامن عشر، تبنَّى الآباء المؤسسون للولايات المتحدة أهمِّية معرفة القراءة والكتابة، واقترح توماس جيفرسون مشروع قانونٍ لإنشاء مدارس عامَّة مجانيَّة من شأنها تعليم القراءة والكتابة والرياضيات «لجميع الأطفال مجاناً، ذكوراً وإناثاً»، فاختيار جيفرسون الدقيق والمقيَّد للكلمات يركِّز على «الأطفال الأحرار» في حين يبقى العبيد الأمريكيُّون أمِّيين، وأصبح محو الأميَّة مرَّة أخرى عنصراً مهماً من عناصر التحكُّم، فأنْ تكون فاعلاً وقادراً على التواصل من خلال الكلمة المكتوبة فتلك هي القوَّة الحقيقيَّة، وفي العام ١٨٧٠، بعد خمس سنوات من الحرب الأهليَّة التي أنهت ممارسة الرقِّ، ظهرت كلمة «معرفة القراءة والكتابة» للمرَّة الأولى في المعجم الأمريكي، إذ كان الطريق من نهاية العبوديَّة إلى بداية الفرص التعليميَّة الحقيقيَّة للأمريكيين الأفريقيِّين طويلاً وكئيباً، وفي السنوات الأولى من إعادة الإعمار، تدفَّق المعلِّمون المتطوِّعون إلى الجنوب وتمَّ بناء مئات المدارس وتوفيرها من قِبَل منظَّمات الإغاثة الشماليَّة، فقد ازدهرت حركة محو الأميَّة، ولم يركِّز هذا على الأطفال فحسب، بل على كثيرٍ من الأمريكيِّين البالغين من أصلٍ أفريقي الذين كانوا يائسين من الحصول على التعليم الذي يستحقُّونه الآن كأحرار.

ازدهار معرفة القراءة والكتابة

في بعض المنازل الخاصَّة في جميع أنحاء الجنوب، قام أفراد الأسرة بتدريس مهارات محو الأميَّة لموظَّفيهم الأمريكيين من أصول أفريقيَّة في الخفاء لأنَّ الأمريكيِّين من أصل أفريقي الذين يعرفون القراءة والكتابة كانوا يُعدُّون تهديداً، ففي الخمسينيات من القرن العشرين، بدأت الولايات المتحدة والحكومة الفيدراليَّة عمليَّةً مهمَّةً لمعالجة المشكلة، بدءاً بقرار المحكمة العليا بخصوص إتاحة التعليم للجميع، وفقاً للنتائج الحديثة التي توصَّلت إليها وزارة التعليم الأمريكيَّة والمعهد الوطني لمحو الأميَّة في استطلاع العام 2016، ظلت نسبة البالغين الأمريكيين الذين لا يستطيعون القراءة فوق المستوى الأساسي عند 14٪ منذ العام 2003، وتُظهر بيانات التعداد المأخوذة في الولايات المتحدة في العام 1870 أنَّ شخصاً واحداً من بين كلِّ 5 أشخاص من جميع الأجناس التي تجاوزت سنَّ الرابعة عشرة لم يتمكَّن من معرفة القراءة أو الكتابة بأيِّ لغة. انخفض عدد الأشخاص غير المتعلِّمين بشكل مطَّرد خلال الأعوام المائة التالية، ومع ذلك فإنَّ النتائج التي توصَّل إليها المركز الوطني للإحصاء التربوي قد وجد أنَّه بين العامين 1992 و2003، لم تكن مستويات معرفة القراءة والكتابة للبالغين الذين تمَّ تعريفهم على أنَّهم «دون المستوى الأساسي» تشير إلى أيِّ تحسُّن ملحوظ، لكن بعد ذلك استمرَّت النتائج والمؤشِّرات في قفزاتٍ ملحوظةٍ حتى وصلت إلى محو أميَّة نسبة كبيرة من الأمريكيين.

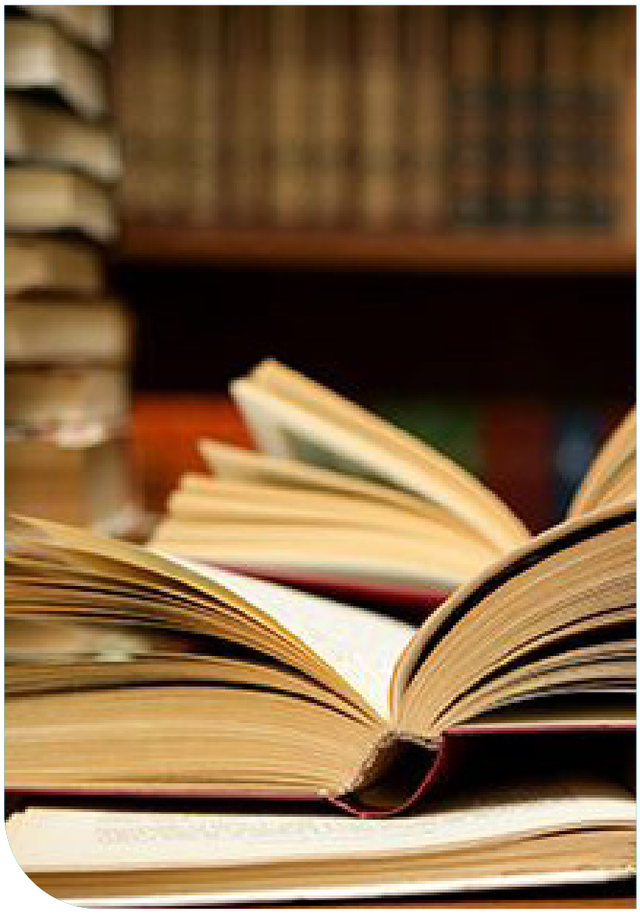

حماية الفئات المهمَّشة

وضعت بعض الولايات قوانين صارمة لحماية شريحة من الطلاب المُعرَّضين لخطر عدم التعلُّم مثل الطلاب الذين يعيشون في الأحياء الفقيرة بالمناطق الحضريَّة الذين كانوا أكثر عرضة من نظرائهم الأثرياء لمغادرة المدرسة، فقد تناولت قوانين أخرى مسائل عمالة الأطفال، والحدِّ من ساعات العمل، وحظر تشغيل أيِّ طفل لا يستطيع القراءة أو الكتابة إلا إذا كان بإمكانه الذهاب إلى المدرسة الليليَّة، وكانت مدارس القرن التاسع عشر للأطفال أصحاب الإعاقات الجسديَّة موجودة، لكنَّ معظمها كانت مؤسَّساتٍ خاصَّة، والقوانين التي تحكمها تختلف من ولاية إلى أخرى، وفي القرن العشرين، أصبحت سلسلة من القوانين التاريخيَّة سارية المفعول تلبِّي احتياجات الطلاب الذين لم يتمكَّنوا من الحصول على التعليم المناسب، وقضى قرار المحكمة العليا التاريخي للعام 1954، قضيَّة براون ضد مجلس التعليم، بأنَّ الفصل بين الأطفال في المدارس العامَّة يحرم هؤلاء الأطفال من الفرص التعليميَّة المتساوية التي يستحقُّونها.

قوانين حماية تعليم أصحاب الهمم

في قضيَّة ميلز ضدَّ مجلس التعليم بمقاطعة كولومبيا في العام 1972، وجدت المحكمة العليا أنَّ المدارس التي تستثني الأطفال أصحاب الهمم من الحضور تنتهك حقَّ جميع الأطفال في التعليم العام المجَّاني، وفي تحقيقات الكونغرس التي تلَت ذلك، تقرَّر أنَّ 2.5 مليون طفل في الواقع من أصحاب الإعاقات الجسديَّة أو العقليَّة إمَّا يتلقَّون تعليماً غير كافٍ أو لا يتلقَّون أيَّ تعليم على الإطلاق، ففي العام 1975، دخل قانون عام جديد، وهو القانون رقم 94-142، حيِّز التنفيذ لمعالجة هذا النقص المفزع، محدثاً تغييراً عميقاً في حياة عدد لا يُحصَى من الطلاب أصحاب الهمم وأسرهم، ولا يمكن إنكار أنَّ نتائج هذا القانون الذي يسمَّى أيضاً قانون التعليم لجميع الأطفال أصحاب الهمم (وأخيراً قانون تعليم الأفراد أصحاب الهمم) كانت إيجابيَّة إلى حدٍّ بعيد، وأظهر الكونغرس أنَّه حتَّى بعد مسألة الإنصاف، فإنَّ استبعاد الأطفال أصحاب الهمم من مزايا التعليم جاء بكلفة مدمِّرة، وتضمَّن تقرير اللجنة النتيجة التي مفادها أنَّ «الوكالات العامَّة ودافعي الضرائب سينفقون مليارات الدولارات للحفاظ على نمط حياة مقبول لهذه الفئات، فمن خلال توفير الخدمات التعليميَّة المناسبة، سيكون الكثيرون قادرين على أن يكونوا مواطنين منتجين يسهمون في المجتمع بدلاً من إجبارهم على أن يظلُّوا مهمَّشين وعديمي الفائدة».

قانون تعليم الأفراد أصحاب الهمم

جعل هذا القانون إلزام المدارس العامَّة باستيعاب وخدمة الأطفال أصحاب الإعاقات العقليَّة أو البدنيَّة، وكان نموذج التعليم الخاص ناجحاً جداً للأطفال أصحاب الإعاقات الجسديَّة أو العقليَّة الفعليَّة، ومع ذلك لم يكن هذا نموذجاً دقيقاً لتصنيف أو تلبية احتياجات الطلاب الطبيعيِّين الذين يجدون صعوبة في التعلُّم في فصل دراسي تقليدي – أولئك الذين اعتادوا تسميتهم «بطيئي التعلُّم»، إذ إنَّ كفاح الفرد للتعلُّم لا يعدُّ مشكلة جسديَّة مثلما نفهم لأنَّه لا يتطلَّب أماكن إقامة مختلفة، مثل الكراسي المتحرِّكة أو تكبير الصوت أو الطباعة الكبيرة، فالأطفال الذين لديهم ذكاء عادي ولكنَّهم بطيئو التعلُّم، هم في الواقع بحاجة إلى التدريس بطريقة منطقيَّة ومختلفة.

الدماغ القارئ

كانت المدرسة ساحة معركة، فخارج الصفِّ الدراسي، سرعان ما أصبحتُ هدفاً للتنمُّر، فليس هناك مكانٌ آمن، فقد كنتُ تحت الحصار، وكان عليَّ أن أتعلَّم بسرعة كيف أدافع عن نفسي، وأن أتعلَّم بسرعة، فماذا يحدث بالضبط في الدماغ حتَّى تتمَّ ترجمة سلسلة من الحروف أو الكلمات المكتوبة إلى تفكير وفهم؟ الكلمة المكتوبة هي رمزٌ لنموذج منطوقٍ أو شفهيٍّ للغة، وحتَّى نتمكَّن من النظر إلى القراءة باعتبارها عمليَّة لكسر تلك الشفرة، فلا يمكن العثور على مفتاح فكِّ الشفرة إلا في الدراسة الفيزيائيَّة للعقل البشري نفسه.

القراءة وعلماء الأعصاب

لقد استنتج علماء الأعصاب أنَّ الدماغ البشري ليس مصمَّماً لاستيعاب عمليَّة القراءة، ففي العقود القليلة الماضية، حقَّق علماء الأعصاب تقدُّماً هائلاً في فهم مهمَّة القراءة المعقَّدة على نحوٍ لا يُصدَّق، وتُبيِّن الأدلَّة الآن أنَّ الافتراضات الأصليَّة للمعلِّمين والمتخصِّصين كانت تستند إلى معلومات غير دقيقة أو غير كاملة لفهم كيف ولماذا خرجنا عن المسار، فلا نحتاج إلى البحث عن نتائج علم الأعصاب، وقبل وصول تقنية التصوير العصبي مثل التصوير بالرنين المغناطيسي، لم يكن هناك طريقة للنظر ببساطة إلى الدماغ لمعرفة كيفيَّة عمله، فكان إنشاء فرضيَّات وتشخيصات من أعراض غامضة مثل «المتعلِّم البطيء» عمليَّة هشَّة في أحسن الأحوال، ولكن لبعض الوقت لم يكن هناك بديلٌ مهم، فتخيَّل محاولة معرفة كيفيَّة عمل التلفاز فقط من خلال مشاهدة البرامج التلفزيونيَّة، وعدم تفكيك الجهاز مطلقاً للنظر إلى الداخل، فالطريقة المعتادة/الأفضل لتعلُّم كيفيَّة عمل التلفاز هي «القراءة» عنها ليمكنك فهمها حتَّى لو لم ترَها أبداً، ولم يعد الاعتماد على الأدلَّة غير المباشرة لفهم عمليَّة القراءة ضروريًا الآن؛ لأنَّ أجهزة مثل التصوير بالرنين المغناطيسي تعطينا نظرة مباشرة داخل الدماغ العامل.

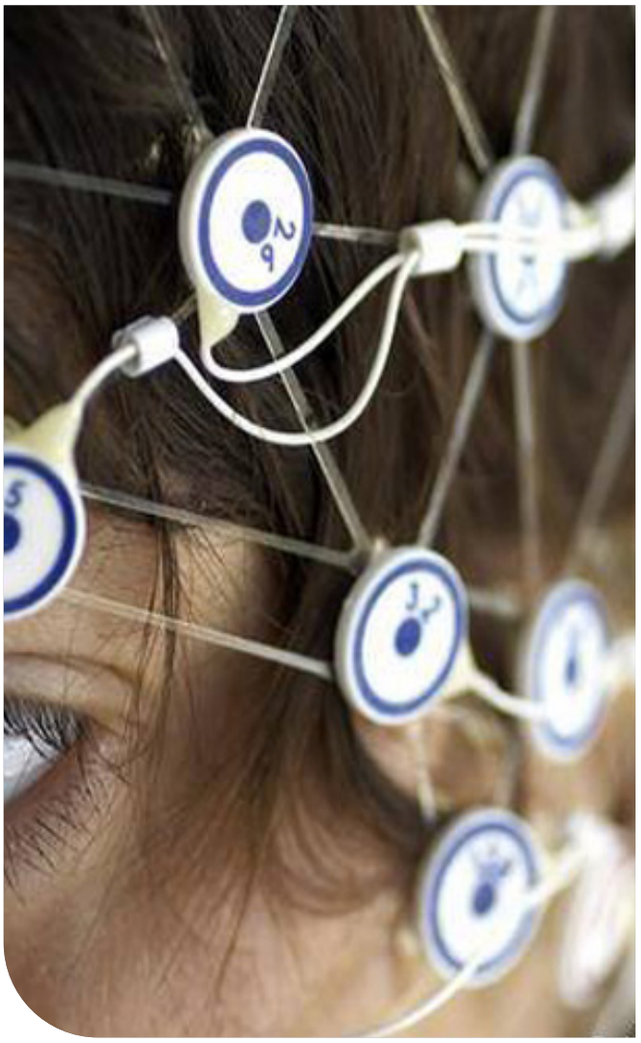

توثيق عمليَّة القراءة

على نحوٍ لا يُصدَّق، يمكن للعلماء الآن توثيق عمليَّة القراءة بأكملها، بدءاً من اللحظة التي تسجِّل فيها العين الحروف والاتصالات التي تُجرى من خلال الصوت والرؤية والذاكرة، وكل ذلك يحدث في ثانية واحدة، مع وجود وسيلة لمراقبة ومقارنة أدمغة البالغين مع الأطفال، والقرَّاء مع غير القرَّاء، توصَّل علماء الأعصاب إلى أنَّ الدماغ البشري لم يكن مصمَّماً لاستيعاب عمليَّة القراءة، فعندما نعتبر أنَّ اختراع الحروف الهجائيَّة قد حدث منذ بضعة آلاف من السنين فقط، وأنَّه حتَّى وقتٍ قريبٍ من القرون الوسطى لم يحاول معظم البشر تعلُّم القراءة، إذ يتطلَّب إتقان قدرة الدماغ خارج نطاق قدراته الأصليَّة إنجازاً ملحوظاً، تقوم أدمغة الأطفال الصغار بإعادة توجيه مسارات عصبيَّة لا تعدُّ ولا تُحصى حتَّى يمكن التنقُّل في اللغة المكتوبة، وما الذي نسمِّيه إعادة التصميم العصبي المعقَّدة التي تغيِّر جذريّاً ما يستطيع الدماغ فعله؟ نحن نسمِّيها «تعلُّم القراءة»، ونتوقَّع أن يأخذها الأطفال حدسيّاً، على الرغم من أنَّه شيء طبيعي أو بسيط، وتتمُّ عمليَّة إعادة ترتيب المسارات العصبيَّة دون علمنا المباشر، إذ تهتمُّ العمليَّة بنفسها إذا تمَّ توفير الظروف المناسبة، لذلك فعلى الرغم من بعض القيود المعرفيَّة بناءً على التصميم، فإنَّ الدماغ قادرٌ على التكيُّف الملحوظ، وتسمَّى قدرته على تغيير نفسه على أساس الاحتياجات الماديَّة أو السلوك «المرونة العصبيَّة». تعلَّمنا بمساعدة التصوير العصبي أنَّ أدمغة الموسيقيِّين تبدو مختلفة عن أدمغة غيرهم، وأنَّ الأشخاص الذين تأمَّلوا لسنواتٍ عديدة يتركون تغييراً ملحوظاً في بنيتهم الدماغيَّة.

صعوبات التعلُّم

نستخدم اليوم «صعوبات التعلُّم»، المصطلح التقليدي الذي تمَّت صياغته للمرَّة الأولى في العام 1963 عندما اقترح الدكتور صموئيل كيرك، أستاذ التربية الخاصَّة في جامعة إلينوي، استخدامه لوصف «الأطفال الذين يعانون اضطرابات في تطوير اللغة والكلام والقراءة ومهارات الاتصال المرتبطة بها»، ولقد ورِث المعلِّمون نظاماً معيباً ويتمُّ إلقاء اللوم بشكل روتيني على أوجه القصور التعليميَّة، إذ لم أقم أبداً بإلصاق «التسمية السلبيَّة» بنفسي، لكنَّني على دراية مؤلمة بتأثيراته الضارَّة وقدرته على الوصم والفصل والعار، في عصرٍ أصبحنا فيه ندرك قوَّة بعض الكلمات والعلامات المشحونة للغاية، لا يسعني إلا أن أعتبر هذه مسألة أساسيَّة في الحقوق المدنيَّة والإنسانيَّة، ولهذا السبب فمن المربك أن يستمرَّ ذوو النوايا الحسنة في نعت الأطفال بهذه الكلمات، ومن المهمِّ أن نفهم الأخطاء التي ارتُكِبَت - وكيف ولماذا ارتكبناها - من أجل المضيِّ قدماً، وهدفنا توسيع الدائرة من خلال التركيز على ما يمكن أن يُطلق عليه «تأخُّر الاستجابة التعليميَّة»، ولكن في الواقع هو العجز الذي لم يتمَّ تأهيل المعلِّمين لمعرفة ما يحتاجون إليه لتعليم القراءة والكتابة بطريقة أكثر فاعليَّة، وكما قالت خبيرة التعليم الوطنيَّة لويزا مواتس في شهادتها أمام لجنة التعليم والقوى العاملة بمجلس النواب: «سيتطلَّب إعداد المعلم في القراءة إجراء إصلاح منهجي للوصول إلى كلِّ جزءٍ من المشكلة».

السلوكيَّات وتغيير الأدمغة

من الواضح علمياً أنَّه يمكننا تغيير أدمغتنا من خلال بعض السلوكيَّات أو طرق التعلُّم، وتلعب المرونة العصبيَّة أيضاً دوراً في الصحة البدنيَّة، إذ يمكن للدماغ أن يعمل على إصلاح الأضرار الماديَّة للخلايا العصبيَّة، فمثلاً بعد تعرُّضه لجلطة دماغيَّة تتعرَّض فيها خلايا الكلام أو مركز الذاكرة للتلف، يمكن إعادة تجديد أسلاك المخ من خلال التدريب لتعويض ما فقد، في عمليَّة إعادة تجديد الأسلاك، فيمكن للمخِّ أن يبني التفافاً حول منطقة تالفة، ويمكن أن تنمو الخلايا العصبيَّة الجديدة لتحلَّ محلَّ الخلايا التالفة، وعلى مدى أجيال، كان النموذج العلمي المقبول للقراءة بسيطاً وخطياً إلى حدٍّ ما، إذ كان المعروف هو مسح شبكيَّة العين للكلمة، ومن ثمّ تمرّ الإشارة العصبية بمراكز مختلفة في الدماغ لالتقاط البيانات المرئيَّة والسمعيَّة والسياقيَّة الأخرى التي تسمح بفهم معنىً أو مدلول تلك الكلمة، واليوم عندما يتمُّ تحديد نشاط الدماغ في الوقت الفعلي، يمكن للعلماء في الواقع ملاحظة ما يحدث أثناء عمليَّة القراءة، فنحن نعلم الآن أنَّ النظام أكثر تعقيداً بشكل غير محدود ممَّا كان مُتَصوَّراً من قبل، وأنَّ المعلومات تنقسم إلى أجزاء وتُنقل إلى أجزاء كثيرة من الدماغ قبل فكِّ تشفير كلمة ما أو فهمها.

التسمية السلبيَّة

واصلتُ مقابلة المعلِّمين الذين عاملوني وكأنَّني غبيٌّ، وكنت أعرف شيئين فقط: أنَّني لم أكن غبيّاً، وأنَّ عدم اكتراث المدرِّسين بي كان غير منصِف. كنت الرجل القاسي، الحارس، مثير الشغب؛ كنت الشخص الذي لم يهتم، ارتديت هذا القناع كلَّ صباح عند وصولي إلى المدرسة، وأخرجته كلَّ مساء قبل العودة إلى المنزل، وعندما كنَّا أطفالاً، علمنا أنَّ «العُصيَّ والحجارة قد تكسر عظامي، لكنَّ الكلمات لن تؤذيني أبداً»، وتهدف هذه الأقوال إلى إرضائنا وجعلنا نشعر بالأمان، فالكلمات حقيقةً، يمكن أن تؤذي، لذلك أصبحت داعياً إلى تعلُّم القراءة والكتابة.

اللغة الشفهيَّة

كانت معظم المجتمعات تعتمد على اللغة المنطوقة والتقاليد الشفهيَّة، فاللغة كما نعرفها تبدو هبة إنسانيَّة فريدة، وعندما ندرسها، نكتشف شيئاً ما من جوهر الطبيعة البشريَّة، فنحن نعلم من خلال دراستنا للمخِّ أنَّ البشر ليسوا مصمَّمين ليكونوا قرَّاءً، لكن يبدو أنَّهم مجبرون على اللغة المنطوقة، مثل الروابط العائليَّة والقبليَّة، وهي قوَّة تربط الثقافات معاً، وبمرور الوقت تفوَّقت اللغة المكتوبة على اللغة الشفهيَّة كوسيلة أساسيَّة لتخزين ونقل المعرفة، والذين يفتقرون إلى القراءة أو لا يتعلمونها، يفتقرون إلى صلة حاسمة بثقافتهم، حيث تقتصر معرفتهم على الثقافة السمعيّة فقط، فربَّما عانى أولئك الذين لم يتمكَّنوا من الاستماع شعوراً بالانفصال عن مجتمعهم، وعندما تتفوَّق اللغة المكتوبة على المنطوقة، فإنَّ من لا يستطيعون أو لا يتعلَّمون القراءة يصبحون منفصلين عن المجتمع، فلم تكن أدمغة البشر مختلفة فقط، بل كانت الطريقة التي يفكِّر بها البشر مختلفة، وكانت عمليَّة التفكير مختلفة تماماً نتيجة الكلام بدلاً من الكتابة، فمن المستحيل أن نقول بالضبط كيف، لكنَّنا نعرف السبب، فإذا كانت طريقة التواصل في ثقافة ما تؤثِّر في كلِّ طبقة يمكن تصوُّرها من تجربة حياة الإنسان، بما في ذلك طريقة تفكيرهم، فتخيَّل عدد العقبات التي يجب أن تكون واضحة وغير دقيقة في مجتمعنا!

ثقافات ما قبل القراءة والكتابة

لتعرُّف العواقب التي يعانيها الشخص الأُمِّي وشبه المتعلِّم في ثقافةٍ قائمةٍ على محو الأميَّة، نحتاج أولاً أن نفهم كيف نجا أجدادنا البعيدون وازدهروا في ثقافات ما قبل القراءة والكتابة، ففي أيِّ مجتمع، من الضروري وجود طريقة لتخزين ونقل المعرفة على السواء، فتخزين المعرفة أمرٌ حيويٌّ لبقاء أيِّ مجموعة من الناس، وهناك وسيلة لنقل المعلومات إلى الأجيال الشابَّة.

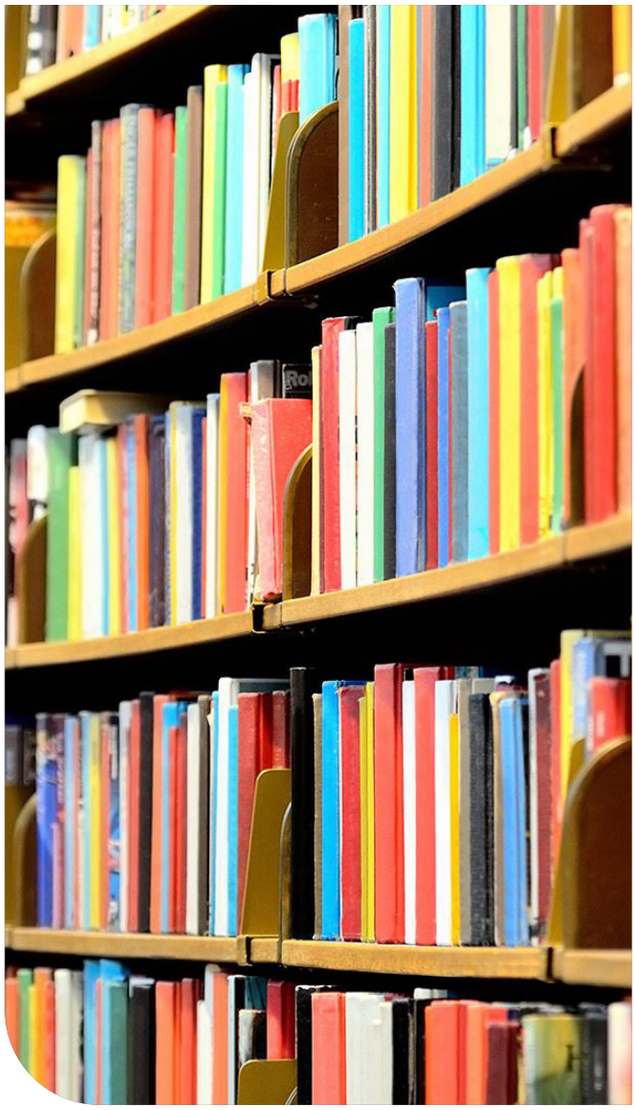

الأُمِّيون وظيفيّاً

وصلت نسبة البالغين الأمريكيِّين الذين لا يتقنون مهارات القراءة والكتابة الأساسيَّة 12٪، وأصبحت مبادرات وبرامج محو الأميَّة التي من المرجَّح أن نسمع عنها وندعمها هي تلك الموجَّهة نحو مواطنينا الأكثر ضعفاً، أطفالنا، ففي الوقت الذي يجب فيه اعتبار الأطفال أولويَّة في برامج محو الأميَّة، ينبغي ألا ننسى أنَّ ما يُقدَّر بنحو 40 مليون أمريكي بالغ لا يمكنهم القراءة بمستوى الصف الخامس أو أعلى منه، وأنَّ 50٪ من هؤلاء البالغين لا يستطيعون القراءة على الإطلاق، وبهذا الحساب لم يدرس أكثر من 12٪ من جميع البالغين الأمريكيِّين مهارات محو الأميَّة الأساسيَّة، فقد أصبح من المقبول في مصطلحات معرفة القراءة والكتابة الإشارة إلى الأفراد الذين يقرؤون في المدرسة الابتدائيَّة أو أقلَّ من مستواها بأنهم «أمِّيُّون وظيفيّاً»، وأريد أن أقول إنَّني أكره بشدة هذا المصطلح؛ لأنَّني أعتقد جاداً أنَّ الكلمات مهمَّة، فأنا أتعرَّف إلى تعاليم سقراط، وبخاصةٍ أنَّ «بداية الحكمة في تعريف المصطلحات».

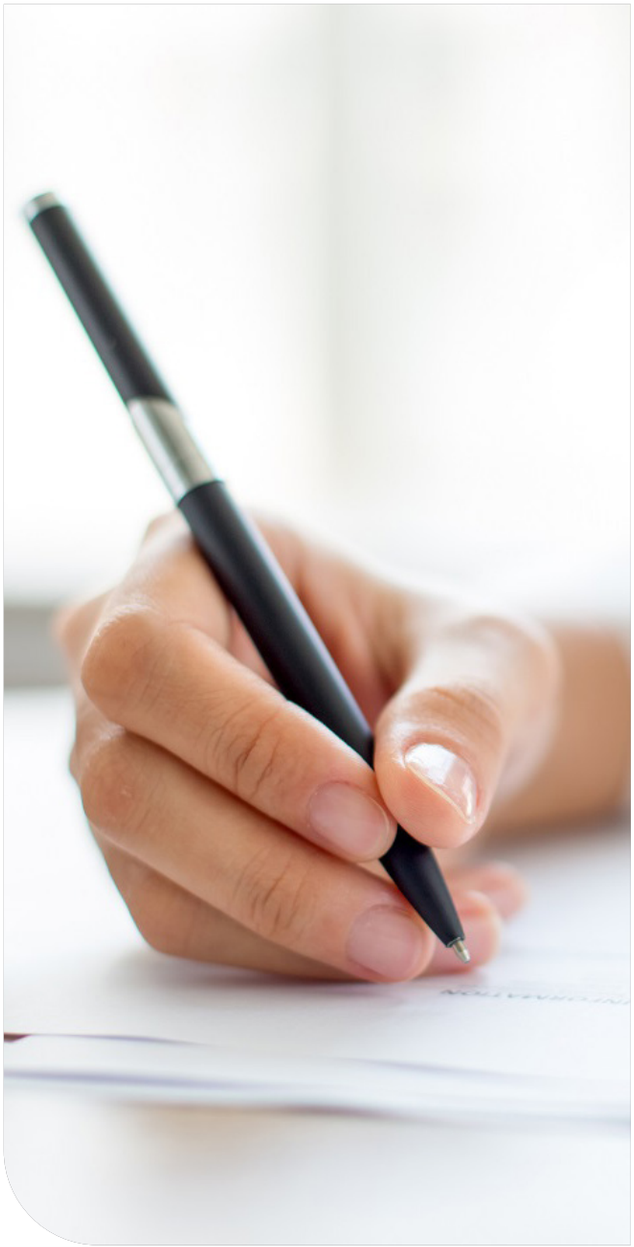

أهمِّية المصطلحات

قد يكون الشخص الذي يمكن اعتباره «أميّاً وظيفيّاً» قادراً على قضاء يومه بطريقة طبيعيَّة، ولا أحب كلمة «أُمِّيّ»، لذا أضفت مصطلح «معرفة القراءة والكتابة»؛ لأنَّه يحتوي تطبيقاتٍ أوسع ووصفاً أكثر دقَّة، فمعرفة القراءة والكتابة الفرعيَّة هي مصطلح يصف أيَّ شخصٍ يقرأ دون إمكاناته، ويغطِّي المصطلح طيفاً واسعاً، من القدرة على قراءة عددٍ صغيرٍ من الكلمات إلى قراءة خاطئة للكلمات أو تخمينها، وقراءة مفرداتٍ شاملةٍ ببطء، والحاجة إلى إعادة قراءة المقاطع في كثيرٍ من الأحيان، وعدم فهم ما يُقرَأ، أو الكتابة بالأخطاء الإملائيَّة.

قد يصف أولئك الذين يندرجون تحت فئة المتعلِّمين الفرعيين، أنفسهم بعدة طرق، مثل: «لا أحبُّ أن أقرأ»؛ «أنا قارئٌ بطيءٌ»؛ «أنا لست قارئاً عظيماً»، أو «لا يمكنني أبداً أن أتذكَّر ما قرأته»، أو «أنا متمكِّنٌ في الإملاء»، لا أفهم أنَّ اللغة الإنجليزيَّة هي رمز مع عمليَّة فكِّ ترميز منطقيَّة.

القنبلة الموقوتة

لا يمكنني التفكير في مثال أفضل أو أكثر إلهاماً من هذا الشاب «مايكل»، الذي كان يواجه تحدياتٍ كبيرةً منذ صغره، بسبب المضاعفات الناجمة عن النوبات المتكرِّرة، اعتقد النظامان الطبِّي والتعليمي أنَّه يفتقر إلى القدرة على اكتساب مهارات القراءة والكتابة والمهارات الحياتيَّة، وتمَّ وضعه في فصولٍ «خاصَّة» تركِّز على تدريس المهارات الحياتيَّة، مثل كيفيَّة غسل الملابس، والطهي البسيط، والحفاظ على النظافة الصحيَّة، والتواصل الحيوي، بدلاً من الفصول الدراسيَّة التي حضرها أطفالٌ آخرون، كما يحدث مع كثيرٍ من الشباب الذين لم يتعلَّموا القراءة والكتابة. انتاب «مايكل» شعورٌ بالغضب وبدأ في التغلُّب على غضبه الذي كان الوسيلة الوحيدة المتبقية للاتصال به، وكان ردُّ المدرسة هو السيطرة على «مايكل» بإبقائه حرفيّاً خارج مبنى المدرسة، فأدرك أنَّه كان مختلفاً عن الآخرين لأنَّه لم يكن لديه الأدوات اللازمة لقراءة الحياة أو التنقُّل فيها، فلم يُطِق هذا الشعور، وحاول الانتحار، ثمَّ دفعه اليأس، مثل كثيرٍ من أقرانه الذين يعانون الأمِّيَّة، إلى خياراتٍ سيئة، فكان في نهاية المطاف مسجوناً!

التطوُّع - الميزة العمليَّة

عندما كنت شاباً، لم تكن لديَّ رغبة خاصَّة في التطوُّع من أجل أيِّ شيء، وكنت أكثر من راغبٍ في العمل، لكنَّني أردت أن أتقاضى راتبي مقابل جهودي، ولم يكن الأمر كذلك حتَّى تحوَّلت حياتي الخاصَّة بمساعدة متطوِّعين، وعمري 48 عاماً عندما قابلت متطوِّعة محو الأميَّة إليانور كونديت في مركز كارلسباد لتعليم المكتبات، أحبَّت إليانور القراءة، ولم تعتقد أنَّ أيَّ شخصٍ يجب أن يمرَّ بالحياة دون تلك القدرة، وكان هذا الاعتقاد البسيط والمتجذِّر بأنَّ معرفة القراءة والكتابة عنصر أساسي للمساواة، كان نواة شغف إليانور، والسبب في أنَّها تطوَّعت، وعلى الرغم من أنَّ اسم إليانور قد لا يظهر في كتب التاريخ باعتباره شخصاً غيَّر العالم، فقد غيَّرت اسمي بكل تأكيد، ما ساعدني على فتح أسرار الكلمة المطبوعة، وكانت هذه بداية تطوُّري الخاص متطوِّعاً.

هناك نهجٌ ثلاثيُّ المستويات للتعليم الحسِّي الإدراكي، متمثلاً في القدرة على إدراك الأصوات داخل الكلمات، ثمَّ خلق صورة ذهنيَّة لهجاء تلك الأصوات، وأخيراً خلق مفهوم عقلي لمعنى الكلمة بأكملها، بطريقة تدريس قادرة على النجاح مع الطلاب الذين أخفقوا في وسائل التعلُّم التقليديَّة، ولم أرغب في مواصلة التعلُّم فقط، بل أردت الانضمام إلى صفوف المتطوِّعين، وأساعد على إزالة معوِّقات التعليم.

البرامج التعليميَّة المحليَّة

بحلول العام 1958، حصل 82٪ من المنازل الأمريكيَّة على تلفاز واحد على الأقل، بزيادة هائلة عن عقدٍ مضى، عندما كان أقلُّ من 1٪ من الأسر لديهم ما كان يُسمَّى في ذلك الوقت «الشاشة الرئيسة»، فالأطفال الذين شاهدوا التلفزيون التعليمي في سنِّ (2–3) كانوا أفضل استعداداً للمدرسة ويؤدُّون بشكل أفضل في الاختبارات، وعندما وصل برنامج «Sesame Street» إلى الساحة في العام 1969، كان لدينا أوَّل فرصة حقيقيَّة لتوفير تجربة تعليميَّة قيِّمة ومتميِّزة للأطفال، كما هو موضَّح في الموقع الإلكتروني للمركز الوطني لصعوبات التعلُّم «كن مستعدّاً للقراءة»، وكانت مدة عرضه 60 دقيقة، وكان مدعوماً بمنهج يستند إلى سنوات من البحث والعمل المتواصل مع خبراء التعليم، واستمر البرنامج في التطوُّر وتمَّ تزويد كلِّ حلقة بألعاب استدلاليَّة، واستنباط الحروف والكلمات، والعدِّ، والتعرُّف إلى الأنماط وغيرها من مهارات القراءة والكتابة المبكِّرة المهمَّة ومهارات الرياضيات المناسبة لأعمار الأطفال (4–7) سنوات، ويؤكِّد تحليل صدر في العام 2013 بمجلة علم النفس التنموي التطبيقي أنَّه بعد أربعة عقود، يعدُّ هذا البرنامج نموذجاً ثابتاً للتدخُّل التعليمي الفعَّال والقابل للتوسُّع في مرحلة الطفولة المبكِّرة، وقد حقَّق فوائد تعليميَّة هائلة لملايين الأطفال في سنِّ ما قبل المدرسة الذين شاهدوا البرنامج بجميع أنحاء العالم.

حان الوقت لقلب الطاولة

لا يمكن للمدرِّس أن ينجح حقّاً ما لم يعلِّم طلابه القراءة، ولا يمكن للطالب أن ينجح أبداً حتَّى يعرف كيف يقرأ، والحقيقة التي يجب التمسُّك بها هي أنَّنا جميعاً بحاجة إلى تعلُّم القراءة، وقد دعمني والداي وساعداني على متابعة أحلامي، حين كنت مصاباً باضطراب فرط الحركة ونقص الانتباه، وعندما سألت نفسي عن مواهبي الحقيقيَّة، وكيف يمكنني زيادة تلك المواهب التي تمَّ تهميشها إلى الحد الأدنى في الصفِّ الدراسي؟ بدأت في فهم نقاط قوَّتي، فمقعد آرون الذي كان يُعطى للطلاب الكسالى هو مكان يُشعِرني بالفخر الشديد عند الجلوس عليه، وقد وصلت من خلاله إلى مكان عملي السينمائي الآن، ومكان إنتاج مؤسَّستي الذي أمارس فيه التمثيل، فالشخصيات التي أعزفها، والإعلانات التجاريَّة التي أستخدمها، والأفلام التي أخرجها، والبرامج النصيَّة التي أكتبها حيث كرسي مقعد آرون الخاص بي، وآمل أن يجد الجميع كرسيهم، وأن يتعلَّموا كيف يكونون فخورين بما يمكنهم إنجازه، فأنت رائع تماماً كما أنت.

نبذة عن المؤلِّف

جون كوركوران

مستثمر عقاري ومطوِّر، وأحد الداعين إلى فكرة «أمريكا خالية من الأميَّة»، وعيَّنه الرئيس جورج بوش في المعهد الوطني للقراءة والكتابة، وهو أحد المسؤولين عن عمليَّة التطوير والتواصل بين المستثمرين والمقرِضين والمحامين والمحاسبين والهيئات الحكوميَّة، كما أنَّه أحد المتحدِّثين في المؤتمرات الدوليَّة عن التعليم.

كتب مشابهة:

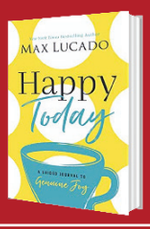

Happy Today: A Guided Journal to Genuine Joy
كن سعيدًا اليوم: مجلة إرشادية إلى الفرح الحقيقي
Max Lucado
ماكس لوكادو
September 17, 2019

Happiness Is the Way: How to Reframe Your Thinking and Work with What You Already Have to Live the Life of Your Dreams
السعادة هي الطريق: كيف تعيد صياغة تفكيرك وتعمل بما لديك بالفعل لتعيش الحياة التي تحلم بها
Wayne W. Dyer
وين دبليو دير
August 27, 2019

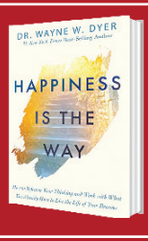

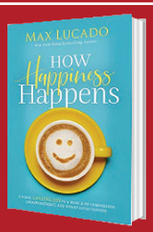

How Happiness Happens: Finding Lasting Joy in a World of Comparison, Disappointment, and Unmet Expectations
كيف تحدث السعادة: العثور على فرحة دائمة في عالم من المقارنة وخيبة الأمل والتوقعات غير المأمولة
Max Lucado
ماكس لوكادو
September 17, 2019

تواصلوا معنا على:

ص.ب: 214444، دبي
الإمارات العربية المتحدة
هاتف: 3444 423 04
نستقبل آراءكم على:
pr@mbrf.ae

MBRF_News
MBRF_News
mbrf.ae
www.mbrf.ae

الاشتراك السنوي: 12 إصدارًا (36 عددًا)

داخل دولة الإمارات:
- الأفراد: **200** درهم
- المؤسسات: **240** درهمًا
- للاشتراك الإلكتروني: **100** درهم إماراتي

خارج دولة الإمارات:
الأفراد: **150** دولارًا أمريكيا
- المؤسسات: **250** دولارًا أمريكيا
- للاشتراك الإلكتروني: **60** دولارًا أمريكيا

يرجى تحويل القيمة إلى حسابنا البنكي على العنوان التالي:
Account Title: Qindeel llC
Account number: 001520069891101
IBAN: AE310240001520069891101
SWIFT Code: DUIBAEADXXX

qindeel_uae
qindeel_uae
qindeel.uae
qindeel.ae

قنديل | Qindeel
للطباعة والنشر والتوزيع
Printing, Publishing, and Distribution

Exclusively at

Paris Gallery PG باريس غاليري

800-744
www.parisgallery.com
www.luxuryclub.com